علاقة مصر بدول غرب أوربا
زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون

د. حامد زيان غانم(*)

انقطعت الصلات الطيبة بين مصر وغرب أوربا، منذ أن أخذت البابوية في إصدار المراسيم التي تحرم التجارة مع مصر(١)، خاصة الاتجار في المواد الحربية(٢)، كما أخذت في تشجيع الأوربيين للقيام بحرب صليبية من أجل استعادة بيت المقدس، وذلك عقب طرد الصليبيين نهائيًا من بلاد الشام عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م(٣).

غير أن بعض المدن الإيطالية التجارية لم تلتزم بهذه القرارات والمراسيم، لأن التجارة مع مصر كانت تمثل مصدرًا هامًا لاقتصادها، فعلى سبيل المثال وفد على مصر وفد من قبل مدينة البندقية عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، طالبًا من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إعادة الامتيازات التجارية القديمة التي كانت تتمتع بها مدينة البندقية، وإعادة القنصل البندقي إلى مكانه بمدينة الإسكندرية(٤).

كذلك أخذت البندقية في التوسط لدى البابوية لكي تمنح التجار البنادقة بعض التراخيص لمزاولة التجارة مع مصر في مقابل دفع بعض الأموال لها(٥)، وقد استجابت البابوية لذلك نتيجة احتياجها للمال(٦)، وذلك نتيجة انقطاع الأموال التي كانت تأتيها من أراضيها بإيطاليا(٧).

ولم تلبث البابوية أن أخذت في التراجع عن موقفها المتشدد في مقاطعة تجارة المماليك في مصر، ويعود هذا التراجع إلى عدة أسباب، أولاً : ما أمسى عليه المماليك في تلك الفترة من قوة ضاربة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وهيمنتهم على طرق التجارة الشرقية، التي كان لا يستغنى عنها الغرب الأوربي، ثانيًا : رغبة

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى كلية الآداب – جامعة القاهرة .

البابوية في هيمنتها على بيت المقدس عن طريق السلم، مثلما حدث من قبل عندما بسط الإمبراطور فردريك الثاني (١٢١٢-١٢٥٠م) نفوذه على بيت المقدس بمقتضى اتفاقية يافا عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م مع الملك الكامل محمد[٨]، خاصة بعد أن فشلت جهود البابوية في حث الغرب الأوربي على القيام بحملة صليبية لاستعادة بيت المقدس[٩]، ثالثًا : عقدت البابوية الآمال من وراء إقامة جسور الود مع المماليك في أن يُحسن المماليك معاملتهم لأهل الذمة الموجودين تحت رعايتهم في مصر والشام، وأن يتم معاملتهم معاملة طيبة[١٠].

كل ذلك دفع البابوية إلى إعادة مراسلة المماليك عسى أن تأتي هذه المراسلات بما كانت تنشده من آمال، وجاءت هذه المراسلات زمن السلطان الناصر محمد الذي وصلت في عهده دولة المماليك إلى درجة كبيرة من التقدم والازدهار، وما حازه من قوة ونفوذ خاصة أثناء سلطنته الثالثة التي دامت أكثر من اثنين وثلاثين عامًا هجريًا (واحد وثلاثين عامًا ميلاديًا)[١١].

كانت هذه السفارة، هي تلك التي أرسلها البابا حنا الثاني والعشرين (١٣١٦-١٣٣٤م) إلى الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٧هـ/١٢٣٧م، وضمت هذه السفارة إلى جانب مندوبي البابا رسلٌ من قِبَل ملك فرنسا شارل الرابع Charl IV (١٣٢٢-١٣٢٨م).

وهنا نشير إلى أن البابوية في غرب أوربا في تلك الفترة كانت قد انتقلت من روما ليقيم الباباوات في مدينة إفينون Avignon في فرنسا منذ عام ١٣٠٥م، عندما تم اختيار رئيس أساقفة بوردو Bordo المسمى برتران دي كو Bertrand de Got وهو أحد رجال الدين الفرنسيين ليتولى منصب البابوية، لكنه فَضَّل البقاء في فرنسا، ولم يذهب إلى مقر البابوية في روما، متخذًا اسم البابا كلمنت الخامس Clement V (١٣٠٥-١٣١٤م) ونقل المقر البابوي من روما إلى إفينون Avignon[١٢]. وقد خلفه ستة من الباباوات الفرنسيين الذين فضلوا البقاء في إفينون بفرنسا، حتى عاد البابا جريجوري الحادي عشر إلى روما عام ١٣٧٧م، منهيًا بذلك فترة عُرفت في تاريخ البابوية باسم " الأسر البابوي " أو " الأسر البابلي "[١٣].

أما هذه السفارة فقد ذكرالمؤرخ المقريزي بعضًا من تفاصيلها عندما أشار في حوادث عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، إلى أنه في هذه السنة " وصلت إلى الناصر محمد سفارة من قبل بابا الفرنج من مدينة رومية بهدية وكتاب "، ويذكر المقريزي أنه لم تصل من عند البابا سفارات إلى مصر منذ أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب[١٤]. وهذا يؤكد إنقطاع الصلة الودية بين غرب أوربا ومصر منذ هذا التاريخ وحتى زمن الناصر محمد بن قلاوون وبالتحديد حتى عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م.

انحصرت مهمة هذه السفارة في تحقيق هدفين، أما الهدف الأول فهو " الوصية بالنصارى "، وتحذير البابا بأنه سوف يتم معاملة المسلمين الموجودين ببلاد غرب أوربا بنفس المعاملة التي يعامل بها مسيحيو الشرق، أو كما جاء في الرسالة : " إنه مهما عُمل معهم بمصر والشام، عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله "[١٥].

والمعروف أن المماليك عاملوا أهل الذمة الموجودين بمصر والشام معاملة طيبة وكريمة، لدرجة أنهم شُغلوا مختلف الوظائف بالدولة، وحازوا جاها عريضا، وسُمح لهم بارتداء ما يشاءون من الملابس، لدرجة أنه لم يعد أحد يفرقهم عن سائر المسلمين الموجودين بدولة المماليك.

استمر وضع أهل الذمة في مصر على هذه الحال إلى أن زار مصر أحد الوزراء المغاربة أثناء قيامه برحلة الحج عام ٧٠٠هـ/١٣٠١م، وشاهد ما عليه أهل الذمة من لبس أفخر الثياب وركوبهم الخيل والبغال، وشغلهم مختلف الوظائف، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، ويذكر القلقشندي أنه تحدث مع السلطان الناصر محمد ونائبه الأمير سلار في هذا الشأن وعقد مقارنة بين ما تمتع به أهل الذمة في مصر من مكانة كبيرة وبين ما كان عليه حالهم بالمغرب من أنه " يُحرم عليهم ركوب الخيل، ولا الاستخدام في الجهات الديوانية "[١٦].

كان لحديث الوزير المغربي أثره في تغيير المماليك نظرتهم ومعاملتهم لأهل الذمة، حيث تم التضييق عليهم في الزي، كما أُلزموا بركوب الحمير فقط، كما تم استبعادهم من بعض الوظائف التي كانوا يشغلونها[١٧].

ولذلك جاءت رسالة البابا حنا الثاني والعشرين لتحث السلطان الناصر محمد على معاملة أهل الذمة في مصر والشام معاملة طيبة، مثلما كان عليه الحال في السابق، وقد استجاب الناصر محمد لهذا الطلب، ووعد رسل البابا بتحقيق هذه الرغبة، والعودة إلى معاملة أهل الذمة معاملة طيبة[١٨].

أما الهدف الثاني من وراء هذه السفارة، فكان ممثلاً في طلب السفير الفرنسي المصاحب لسفارة البابا، حيث طلب من الناصر محمد أن يمنح ملك فرنسا بيت المقدس[١٩] !!

ويتضح من طلب السفير الفرنسي بمنح مَليكُه بيت المقدس أن أهداف الغرب الأوربي من وراء إقامة علاقات الود مع دولة المماليك هو حصولهم على بيت المقدس سِلمًا، بعد أن فشلت جهودهم العسكرية في سبيل ذلك.

والمعروف أن فرنسا كان لها دور كبير في الحروب الصليبية منذ بدايتها، فكثير من أمراء فرنسا اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى، كما اشترك ملوكها في الحملات الثانية والثالثة والخامسة والثامنة، وعلى هذا النحو ليس غريبًا أن يطلب الملك الفرنسي شارل الرابع على لسان سفيره أن يمنحه السلطان الناصر محمد حق الإشراف على بيت المقدس، مثلما حدث في الماضي عندما منح السلطان الأيوبي الملك الكامل محمد الإمبراطور فردريك الثاني حكم بيت المقدس وذلك بمقتضى اتفاقية يافا عام ٦٢٦هـ/١٢٢٩م[٢٠].

غير أن أوضاع الملك الناصر محمد، وما تمتع به من قوة ونفوذ في تلك الفترة جعلته في غير حاجة إلى مساعدة ومعونة ملوك غرب أوربا، مثلما كان وضع الملك الكامل محمد الذي سعى إلى كسب ود الإمبراطور فردريك الثاني[٢١]، ولذلك رفض الناصر هذا الطلب رفضًا تامًا.

لم يفقد ملوك فرنسا الأمل في أن يحوذوا شرف الإشراف على بيت المقدس، لذلك عاود ملك فرنسا فيليب السادس Philip IV (١٣٢٨-١٣٥٠م) مرة أخرى طلبه في الإشراف على بيت المقدس[٢٢]، فيشير النويري وهو كاتب ومؤرخ معاصر توفى

عام ٧٣٣هـ/١٣٣٣م إلى أنه في عام ٧٣٠هـ/١٣٣٠م أرسل ملك فرنسا فيليب السادس – فيليب فالوا – سفارة إلى الملك الناصر محمد وكان مضمونها : " طلب بلاد الساحل الشامي والبيت المقدس "[٢٣].

أما الذي دفع فيليب السادس إلى طلب وضع يده على الساحل الشامي وبيت المقدس، فهو رغبته في تدعيم حكمه وتوطيد نفوذ أسرته في حكم فرنسا، فالمعروف أن حكم فيليب السادس لفرنسا جاء لينهي حكم أسرة آل كابيه الذي دام ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن وبالتحديد من عام ٩٨٧م عندما تم تتويج هيو كابيه حكم فرنسا، إلى عام ١٣٢٨م عندما توفى شارل الرابع دون أن يترك وريثًا ذكرًا يرثه في الحكم، مما أدى إلى نهاية أسرة آل كابيه في الحكم، حيث تم اختيار فيليب فالوا الذي اتخذ اسم فيليب السادس ملكًا على فرنسا[٢٤].

ومن ناحية أخرى فقد أراد فيليب السادس أن يجذب إليه البابوية ويضمن تأييدها له، مثلما كان الحال مع أسرة آل كابيه، حيث لبى ملوك أسرة آل كابيه نداء البابوية فاشتركوا في أكثر من حملة صليبية[٢٥]، لذلك أراد أن يستعيد بيت المقدس من أيدي المسلمين، ويعيدها للصليبيين مرة أخرى، ولكن بطريقة سلمية بعد أن فشلت الطرق الحربية، وبذلك يتفوق على إنجلترا التي كانت تتصارع معها فرنسا فيما عرف في التاريخ بحرب المائة عام.

وتمسكًا من السلطان الناصر محمد ببيت المقدس، وعدم إعادتها للحكم الصليبي مرة أخرى رفض طلب ملك فرنسا فيليب السادس، ولم يكتف الناصر محمد بالرفض وإنما قام بتوبيخ السفير الفرنسي وأهانه إهانة بالغة، وأعاده إلى فرنسا دون أن يحقق هدفه[٢٦]. وكان هدف الناصر محمد من وراء ذلك أن يؤكد لملوك فرنسا أن هذا الطلب مرفوض، حتى لا يعاودوا مرة أخرى التحدث فيه، ومن يتحدث فيه مرة أخرى لن يناله خيرًا.

ولكن هذا لا يعني وقوع العداء بين دولة المماليك زمن الناصر محمد ودول غرب أوربا خاصة فرنسا، وإنما استمرت العلاقات الودية قائمة، وذلك لأن كل من

المماليك ودول غرب أوربا كانوا حريصين على استمرار هذه العلاقة ضمانًا لاستمرار النشاط التجاري بينهم[٢٧].

وفي إطار هذه السياسة رحب المماليك بالسفارات الأوربية، كما رحبوا بالتجار والتجارة الأوربية، وبذلوا كل جهدهم من أجل راحة التجار الأوربيين أثناء إقامتهم في مصر، وأقاموا لهم القناصل للإشراف على الجالية الأوربية المقيمة بمصر، كما منحوهم الكثير من الامتيازات، وجعلوا لهم أحياء خاصة بهم داخل الموانى المصرية، تتوفر بها كل ما يلزمهم مثلما هو الحال في بلادهم، حتى لا يشعروا بغربة، فيعيشوا في مصر وكأنهم في بلادهم[٢٨].

لم يكتف سلاطين المماليك بذلك، وإنما عملوا على جذب التجار الأوربيين للحضور إلى مصر، وذلك عن طريق إغرائهم بما سوف ينعمون به من خير عميم داخل مصر، وقد حفظ القلقشندي نص مرسوم أصدره السلطان المنصور قلاوون، والد الناصر محمد، وجَّهَهُ إلى كافة التجار ومن بينهم التجار الأوربيين، يعدد لهم فيه مزايا الإقامة بمصر، وهو في نفس الوقت يعتبر هذا المرسوم وثيقة أمان للتجار، حتى يأمن فيه التجار على أنفسهم وأموالهم[٢٩].

ولاشك في أن هذا المرسوم قد عمل على جذب التجار الأوربيين إلى مصر زمن قلاوون وزمن ولده الناصر محمد مما أدى إلى تنشيط الحركة التجارية في مصر.

ومن جهة أخرى كانت علاقة المماليك في مصر بأباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، علاقة قوية يسودها الود، فقد ورث المماليك تلك العلاقة الودية من سادتهم السلاطين الأيوبيين[٣٠]، وقد حافظ الطرفان على تلك العلاقة الودية، فمن أشهر الرسائل التي وردت إلى مصر في بداية حكم المماليك لمصر، تلك الرسالة التي أرسلها شارل دانجو Charles D'Anjou حاكم الصقليتين إلى الظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ/١٢٦٤م أي في العام التالي على تولية شارل حكم الصقليتين، وقد اصطحب السفير الصقلي معه هدية ثمينة قدمها للظاهر بيبرس، وأعلن السفير أن مخدومه أمره أن يكون أمر الملك الظاهر بيبرس نافذًا في بلاده[٣١].

وإذا كانت صقلية قد دخلت في صراع حول العرش، إلا أنه بعد انتهاء هذه الفترة المضطربة من تاريخ صقلية، بوصول بطرس الثالث حاكم أرغون (١٢٧٦-١٢٨٥م) إلى حكمها عام ٦٨١هـ/١٢٨٢[٣٢]، حيث هدأت الأوضاع بها، وعادت العلاقات الودية مع المماليك، خاصة بعد أن انضم حاكم صقلية خايمي Jaime أخو ألفونس الثالث (١٢٨٥-١٢٩١م) حاكم أرغون إلى المعاهدة التي عقدها الأخير مع السلطان المنصور قلاوون، وهي تمثل صورة ناصعة من صور العلاقات الدبلوماسية الودية بين دولة المماليك وصقلية[٣٣]، واستمرت تلك العلاقات الودية بعد ذلك زمن السلطان الناصر محمد.

أما عن علاقة المماليك زمن السلطان الناصر محمد بالدول المسيحية بإسبانيا، فإننا نجد أن مختلف القوى المسيحية بإسبانيا سعت إلى خطب ود المماليك وذلك لعدة أسباب، يأتي في مقدمتها : محاولة تحييد المماليك خلال المعارك التي خاضها مسيحيو إسبانيا ضد بقايا الوجود الإسلامي بها، حيث كان الصراع دائرًا في ذلك الوقت بين الممالك الإسلامية بإسبانيا، والقوى المسيحية بها، إلى أن تساقطت الممالك الإسلامية تباعًا، وكان أخرها غرناطة التي سقطت عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[٣٤].

وبالفعل نجح الإسبان في جذب المماليك إليهم، وضمنوا عدم تقديم المعونة العسكرية للقوى الإسلامية بإسبانيا، مما يسّر لهم انتزاع إسبانيا كلها من يد المسلمين.

وثاني هذه العوامل، العمل على تأمين التجار الإسبان الموجودين داخل مصر زمن المماليك، أما العامل الثالث فيتمثل في تأمين الحجاج المسيحيين الإسبان المتوجهين لأداء فريضة الحج إلى بيت المقدس، حيث يشرف المماليك على الطريق إلى بيت المقدس، في حين كان العامل الرابع يهدف إلى التخفيف من حدة التضييق في معاملة أهل الذمة داخل دولة المماليك في مصر.

ولذلك أخذت السفارات الإسبانية تفد على مصر زمن الناصر محمد، حيث رحب الأخير بهذه السفارات، وقد حرص خايمي الثاني James II (١٢٥١-١٣٢٧م) حاكم أرغون[٣٥] والمعاصر للسلطان الناصر محمد بالاحتفاظ بعلاقات الود مع

السلطان الناصر محمد، فأخذت السفارات تتردد بينهما، وقد أشار كلاً من النويري والمقريزي إلى هذه السفارات خاصة سفارة عام ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، وما نتج عنها من استجابة الناصر محمد لطلب خايمي الثاني من فتح بعض الكنائس المغلقة بمصر، والعمل على راحة التجار الإسبان الموجودين بمصر والشام، كذلك إطلاق بعض الأسرى المحتجزين بمصر(٣٦).

غير أنه حدثت بعض الأحداث التي عكرت صفو هذه العلاقة الطيبة بين مصر وإسبانيا من قِبَل حاكم أراغون خايمي الثاني عام ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، فبعد أن أدت هذه السفارة مهمتها، وتم الترحيب بها، حيث استجاب الناصر محمد لطلبات السفير الأراغوني، خاصة شفاعته في النصارى الموجودين بمصر وأن يتم معاملتهم معاملة طيبة، كما أن السلطان الناصر محمد استجاب لما طلبه السفير الأراغوني من فتح بعض الكنائس حيث أمر الناصر بأن تفتح لليعاقبة كنيسة بحارة زويلة، وللملكانيين كنيسة بخط البندقانيين(٣٧).

وعند عودة هذه السفارة إلى إسبانيا، أمر السلطان الناصر محمد أن يصحبها سفيرًا من قِبله، وتم اختيار الشيخ فخر الدين عثمان الأقرمي لهذه المهمة، غير أنه حدثت بعض المشادات الكلامية بين السفيرين أثناء مغادرتهما ميناء الإسكندرية متوجهين إلى إسبانيا، مما دفع السفير الإسباني إلى إنزال الشيخ فخر الدين عثمان من مركبه إلى مركب آخر دون أن يسمح له بأخذ أمتعته وما معه من هدايا، فما كان من فخر الدين عثمان إلا أن عاد إلى الناصر محمد غاضبًا دون أن يكمل رحلته إلى أرغون(٣٨).

تركت هذه الحادثة، وما لحق بالسفير المصري فخر الدين عثمان من إهانة على يد السفير الإسباني، أثرًا سيئًا على العلاقات بين مصر وإسبانيا، وتبدلت علاقة الود بعلاقة عداء، فلم يلبث أن أمرت السلطات المصرية بإلقاء القبض على جميع رعايا أرغون بالإسكندرية، ومصادرة أموالهم.

غير أن هذا التوتر والاضطراب في العلاقة بين مصر وإسبانيا لم يستمر طويلاً، فبعد عشر سنوات عادت العلاقات بين البلدين إلى سابق عهدها من المودة والصفاء، ففي عام ٧١٤هـ/١٣١٤م أرسل حاكم أرغون خايمي الثاني إلى السلطان الناصر محمد يعتذر له عما بدر من السفير الإسباني في حق السفير المصري الشيخ فخر الدين عثمان، وسأله السماح للتجار الإسبان بممارسة نشاطهم التجاري بالديار المصرية، واستسمح السلطان بأن يعمل على تأمين الحجاج الإسبان المتوجهين لبيت المقدس، ورحب السلطان الناصر بطلبات حاكم أرغون، واستجاب له[٣٩].

وهكذا كان عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون عصرًا نشطت خلاله مختلف السفارات والوفود التي وفدت على مصر من دول غرب أوربا، تنشد فيه ود السلطان، وإقامة العلاقات الطيبة مع مصر. وقد أدى هذا إلى نتائج إيجابية على الطرفين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشطت الحركة التجارية نشاطًا ملحوظًا في تلك الفترة، وعاد ذلك بالخير العميم على الجانبين، كذلك عاش أهل الذمة في مصر والشام في أمن ومارسوا حياتهم على خير وجه، وفُتحت معظم الكنائس التي كانت مغلقة، كما أمن الحجاج الأوربيين على حياتهم وأرواحهم وأموالهم، وأدوا شعائر دينهم وهم آمنون سطمئنون.

وجملة القول كان لتلك العلاقات الودية التي ربطت مصر بدول غرب أوربا في تلك الفترة نتائج إيجابية على الطرفين.

• •

الحواشي :

(*) تولى الناصر محمد بن قلاوون سلطنة المماليك ثلاث مرات، الأولى بين عامي ٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م، الثانية بين عامي ٦٩٨-٧٠٨هـ/ ١٢٩٨-١٣٠٨م، الثالثة بين عامي ٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤٠م.

(١) هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، القاهرة ١٩٩١م، ج٢، ص٢٥٢، ٢٦٠ ؛
Ashtor : Levant trade in the later middle ages, New Jersey, 1983, p. 20–45.

(٢) De mas Latrie: Traites de paix et de Commerce, paris 1866, pp. 81–88.

(٣) Aziz Syrial Atia : The crusade in the later middle ages, London 1938, p. 55–63.

(٤) هايد : تاريخ التجارة، ج٢، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٥) هايد : تاريخ التجارة، ج٢، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٦) Painter : A history of the .niddle ages, London 1963, p. 405.

(٧) Robinson: An Introduction to the history of western Europe, Boston 1946, vol I, p. 258.

(٨) ابن العميد : أخبار الأيوبيين ؛
Bulletin d'etudes orientales, Tom XV, 1955–1957, p. 137 ;
ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب، دمشق ١٩٩٧م، ج٢، ص٦٦٤؛ أبو شامة : الذيل على الروضتين، بيروت ١٩٧١م، ص١٥٤.

(٩) Aziz Syrial Atia : Op. Cit, p. 115.

(١٠) المقريزي : السلوك في معرفة دول الملوك، القاهرة ١٩٧١م، ج٢، ق١، ص٢٨٧.

(١١) عن عصر الناصر محمد، انظر: حامد زيان : المماليك، القاهرة ٢٠١١م، ص١١٠-١١٢.

(١٢) Painter : History of the middle ages, p. 504.

(١٣) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٦م، ج١، ص٥٠٩- ٥١٣ ؛
Stevenson : Medieval history, New York 1943, p. 500–502.
سُميت هذه الفترة باسم الأسر البابلي، للاعتقاد السائد بأن البابوات في إفيتون كانوا تحت سيطرة ونفوذ الملوك الفرنسيين، تشبيهًا بما حدث لبني إسرائيل لوقوعهم في أسر الملك الفارسي بختنصر وإكراههم على الإقامة في بابل. انظر : عبدالقادر أحمد اليوسف : العصور الوسطى الأوربية، بيروت ١٩٦٨م، ص٢٠٧.

(١٤) السلوك، ج٢، ق١، ص٢٨٦-٢٨٧.

(١٥) المقريزي : السلوك، ج٢، ١، ص٢٨٧.

(١٦) صبح الأعشى، القاهرة د.ت، ج١٣، ص٣٧٧.

(١٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٢٧٠هـ، ج٢، ص ص٤٩٧-٤٩٨.

(١٨) المقريزي : السلوك، ج٢، ق١، ص٢٨٧.

(١٩) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر، القاهرة د.ت، ص٢٧٦، هامش ٤؛ حامد زيان : المماليك، ص١١١.

(٢٠) ابن واصل : مفروج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة ١٩٧٢م، ج٤، ص ص٢٤٣، ٢٤٤؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٩٢م، ج٢٩، ص١٥٠.

(٢١) Kantrowicz : Fredric the second, London 1981, p. 185 ; حامد زيان : تاريخ مصر في العصر الأيوبي، القاهرة ٢٠١١م، ص٧٠.

(٢٢) من المعروف أن الملك فيليب السادس بذل جهدًا كبيرًا في سبيل استعادة سيطرته الكاملة على حكم فرنسا، وأحيا بذلك الملكية الفرنسية القديمة، انظر :

Edward Petres : Europe, the world of the middle ages, New Jersy 1977, pp. 269–270.

(٢٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٣٣، ص٣٠٤.

(٢٤) Stephenson : Medieval history, pp. 516–517. وعن تاريخ فرنسا في تلك الفترة، انظر :

Tout : France and England, Manshestar 1922, pp. 100–120.

(٢٥) كانتور : التاريخ الوسيط، القاهرة ١٩٩٧م، ج٢، ص ص٥٥٦–٥٥٧.

- على سبيل المثال شارك لويس السابع في الحملة الصليبية الثانية، وشارك فيليب أوغسطس في الحملة الصليبية الثالثة، كما شارك فيليب أوغسطس في محاربة الهراطقة الخارجين عن البابوية، كذلك اشترك لويس التاسع في الحملة الصليبية السابعة على مصر والحملة الصليبية الثامنة على تونس. انظر : ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، بيروت ١٩٦٨م، ج٢، ص ص٣٩٧–٤٤٧؛ ج٣، ص ص١٠٩–١٤٩، ٧١٧.

(٢٦) النويري : نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٠٤.

(٢٧) حياة ناصر الحجي : العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية، الكويت ١٩٨٠م، ص١٨.

(٢٨) سعيد عاشور : العصر المماليكي، القاهرة ١٩٦٢م، ص٢٩٠.

(٢٩) انظر نص هذا المرسوم عند القلقشندي : صبح الأعشى، ج١٣، ص ص٣٤٠–٣٤٢.

(٣٠) حامد زيان : العلاقات بين جزيرة صقلية ومصر والشام زمن الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهر، ١٩٧٣م، ص ص١٠٢–١٦٠.

(٣١) المقريزي : السلوك، ج١، ق٢، ص٥١٣.

- المقصود بالصقليتين، حكم صقلية وجنوب إيطاليا.
- وعن شخصية شارل دانجو وسياسته في حكم الصقليتين. انظر " اسمت غنيم : شارل دانجو وسياسته في الصقليتين، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص٢٧–٧٩.

(٣٢) أما سبب وصول بطرس ثالث الأرغوني إلى حكم صقلية، فيعود إلى أنه كان متزوجًا من الأميرة كونستانس ابنة الإمبراطور مانفرد إمبراطور ألمانيا وحاكم صقلية، والأميرة كونستانس

هي وريثة عرش صقلية عن أجدادها النورمان، لذلك طالب بطرس بحقه في حكم صقلية، وعارضت البابوية في ذلك، ومن ثم حدث صراع كبير بين البابوية التي أيدت شارل دانجو، وبين بطرس الثالث الذي أيده الصقليون ولنحازوا إلى جانبه في ثورة قاموا بها أطلق عليها " صلاة المساء الصقلية The Sicilian Vespers ". انظر :

Runciman : The sicilian Vespers, Cambridge, 1988, pp. 210–213 ;

سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٦م، ج١، ص ص٥٥٩–٥٦٠؛ اسمت غنيم : شارل دانجو، ص٦١–٧٥.

(٣٣) محي الدين بن عبدالظاهر : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، القاهرة ١٩٦١م، ص ص١٥٦–١٦١.

(٣٤) حياة ناصر الحجي: العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية، ص ص٢٥٥–٣٤٥.

(٣٥) يشير إليه النويري باسم " الراند راكون "، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٧٧. والراندراكون لفظ مركب وهو من الكلمة El-Rey de Aragon ومعناه ملك أراجون. انظر : المقريزي : السلوك، ج١، ق٣، ص٩٥٠، هامش ١.

(٣٦) نهاية الأرب، ج٣٢، ص٧٧؛ السلوك، ج١، ق٣، ص ص٩٥٠–٩٥١.

(٣٧) النويري : نهاية الأرب، ج٣٢، ص٧٧–٧٨.

(٣٨) النويري : نهاية الأرب، ج٣٢، ص٧٨.

(٣٩) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر، القاهرة د.ت، ص٢٦٤.

• • •